

سلسلة المحاضرات الرمضانية (١٤٤٥ هـ)

ألقاها السيد القائد عبد الملك بدر الدين الحوثي "يحفظه الله"

المحاضرة الرمضانية الرابعة والعشرون

الاثنين ٢٩ رمضان ١٤٤٥ هـ ٨ أبريل ٢٠٢٤ م

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُتَجَبِّينَ، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَثُبِّ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

تحدثنا في محاضرة أمس عن قصة نبي الله هود "عَلَيْهِ السَّلَامُ" مع قومه عاد، وكيف أنَّ عاداً كانوا آنذاك هم الأمة القوية، وكانوا مجتمعاً متمكناً بين غيرهم من المجتمعات الأخرى، التي انحدرت من سلالة نبي الله نوح "عَلَيْهِ السَّلَامُ"، وانتشرت في مناطق مختلفة من الأرض، وعندما أرسل الله إليهم رسوله هوداً "عَلَيْهِ السَّلَامُ"، كانت نعمة كبيرة عليهم من الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، وكانت فرصة لهم؛ ليحملوا نور الرسالة الإلهية، وليكونوا هم ركيزة اجتماعية، وحاضنة للمشروع الإلهي؛ ليقدموا النموذج المعبر عن تلك الرسالة في مبادئها، والمجسّد لقيمها وأخلاقها، والملتزم بتعاليمها، فيكونوا هم المجتمع القدوة، الذي يتّجه لنشر رسالة الله وتعاليمه في بقية المجتمعات، ويفوزوا بهذا الشرف العظيم؛ لأنَّ التحرك برسالة الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" بعد الإيمان بها، والالتزام

بها، فالتحرك بها كمسؤولية، لنشر نورها في بقية المجتمعات، والسعي لإنقاذ وهداية بقية المجتمعات، يعتبر شرفاً عظيماً، ومفخرةً عظيمةً.

ولذلك عندما كان يرسل الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" الرسل إلى أقوام ومجتمعات معينة، وهي- في نفس الوقت- بين مجتمعات أخرى، يعني: هناك مجتمعات أخرى غير ذلك المجتمع الذي بُعث إليه ذلك النبي، فليست المسألة فقط ليكون نبياً لذلك المجتمع وتترك بقية المجتمعات؛ إنما لأنه لا بد أن يكون هناك في البداية حاضنة للمشروع الإلهي، للمشروع الرسالي نفسه، وركيزة اجتماعية، يبدأ المشوار من بينها هي، وتحمل هذا المشروع وتنشره في الآخرين، ويكون لدى ذلك المجتمع من المقومات ما يهيئه لهذا الدور أكثر من غيره.

فكانت مشكلة بعض الأقسام وبعض الأمم: أنها كانت تُكذَّب- في أغلبها إلا القليل- تُكذَّب برسالة الله، وترفضها وتتنكر لها؛ وبالتالي لم تصل إلى مرتبة أن تكون متقبلةً هي في نفسها للمشروع الإلهي، فما بالك بأن تُقدِّم فيه النموذج، والقُدوة، والأسوة، وأن تتحرك به كحاضنة وحاملٍ للمشروع الإلهي.

فهم صدُّوا عن سبيل الله، باستثناء قلة من المستضعفين الذين آمنوا، ونجَّاهم الله مع نبيِّه هود "عَلَيْهِ السَّلَامُ"؛ ولهذا لأهمية هذا الشرف العظيم قال الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" مخاطباً لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد "صَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ"، وهو يُذَكِّرُهُ وَيُذَكِّرُ قَوْمَهُ بِنِعْمَةِ الْقُرْآنِ وَالرَّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف:

من الآية ٤٤].

بعد هلاك عاد، الذين كانوا هم المجتمع الأكثر قوةً ورفاهيةً في معيشتهم وظروف حياتهم، كان القوم الذين استخلفهم الله ومكَّنهم، وبرزوا بين بقية المجتمعات قوةً جديدةً، برزوا قوةً جديدةً، تتنامى في قوتها، وإمكاناتها، واقتصادها: كانوا هم ثمود، ثمود قوم نبي الله صالح "عَلَيْهِ السَّلَامُ".

وقد ذكَّرهم نبي الله صالح "عَلَيْهِ السَّلَامُ" بهذه النعمة: أَنَّ اللَّهَ اسْتَخْلَفَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ، وَهِيَ لَهُمْ فِي ظُرُوفِ حَيَاتِهِمْ أَنْ يَبْرَزُوا هُمْ؛ لِيَكُونُوا الْأُمَّةَ الْأَكْثَرُ قُوَّةً، وَأَنْ تَتَنَامَى فِي مَعِيشتِهَا الْاِقْتِصَادِيَّةِ، فِي ظُرُوفِ حَيَاتِهَا، فَبَرَزَتْ بَيْنَ بَقِيَّةِ الْمَجْتَمَعَاتِ، قَالَ لَهُمْ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا

وَتَحْتُونَ الْجِبَالَ بِيُوتًا فَاذْكُرُوا الْآءَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: من الآية ٧٤]، يُذَكِّرُهُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ وَصَلُوا إِلَى مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ

إمكانات، ورفاهية في الحياة، وتوفير لمتطلبات حياتهم، بنعمة الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" وبفضله، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ

وَمَا تَعْبَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: من الآية ٧٤].

المنطقة التي كان يعيش فيها قوم نبي الله صالح، كانت ثمود تسكن فيها: هي ممتدة من (وادي القرى في الحجاز)، ممتدة إلى الشام، إلى الأردن بالتحديد، منطقة ممتدة من هناك: من وادي القرى في الحجاز، إلى داخل الأردن حالياً (إلى الشام)، وهم يُحسبون أيضاً من العرب القدامى، من قدامى العرب في تلك المرحلة المبكرة.

وقد فتح الله لهم أبواب نعمته، وازدهرت حياتهم، ووسّع الله لهم في معيشتهم:

- فازدهرت الزراعة بشكل كبير، وتوفر لهم المزارع والبساتين الضخمة.

- وتوفر لهم المياه، توفر لهم الماء الذي يحتاجون إليه لري المزارع.

فكما قال الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى": ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ (١٤٧) وَمَرْمُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعًا هَضِيمًا﴾ [الشعراء: ١٤٧-١٤٨]، (جَنَّاتٍ):

مزارع ضخمة، يروونها من تلك العيون، من ذلك الماء المتوفر، ﴿وَمَرْمُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعًا هَضِيمًا﴾، وبرزت عندهم

أيضاً زراعة النخل، مع بقية المحاصيل الزراعية التي يزرعونها، والزراعة أساسية جداً في نهضة الأمم، وفي توفير متطلبات الحياة الضرورية من القوت والطعام، الذي يحتاج إليه الناس؛ ولذلك إذا ازدهرت الزراعة في قوم، ازدهرت حياتهم، وتحسنت ظروف معيشتهم، وتوفرت متطلباتهم الأساسية من الغذاء وغيره.

- أيضاً على مستوى العمران والبناء: ازدهرت حياتهم؛ فعمروا المدن، وسكنوا القصور، وهذا من

المؤشرات على مستوى الرفاهية والرخاء، والثروة والتجارة التي كانوا يمتلكونها؛ نتيجةً لمحاصيلهم الزراعية الوفيرة، التي كانوا يستفيدون من عائداتها ثروةً ضخمة؛ فاتجهوا للعمران، كما ذكّرهم نبي الله

صالح وهو يذكرهم بنعم الله عليهم: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا﴾ [الأعراف: من الآية ٧٤]، فهم كانوا

لرفاهيتهم، وتوفر متطلباتهم وأموالهم، والعائد المالي المتوفر لديهم، كانوا يبنون القصور، ويسكنون فيها.

مع تلك الحياة، التي توفرت لهم فيها متطلبات حياتهم بازدهار، ورفاهية، ورخاء، وارتياح، لم يشكروا نعمة الله عليهم؛ بل انحرفوا، وزاد طغيانهم، وانتشر الفساد فيهم، وتعاضم، بل أصبحوا هم بؤرةً للفساد، أصبحوا في

واقعهم بؤرةً للفساد، ومصدِّرين للفساد إلى المجتمعات التي لها علاقةٌ بهم، وتعاملٌ معهم؛ ولهذا كان مما نهاهم عنه نبي الله صالح " عَلَيْهِ السَّلَامُ": ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: من الآية ٧٤]، فهم أصبحوا بؤرةً للفساد، مُصدِّرين

على الفساد، مصدرين للفساد، وبَطَرُوا بالنعمة التي هم فيها، بَطَرُوا: لم يشكروا نعمة الله عليهم، ولم يأخذوا العبرة مما حصل قبلهم لقوم نوح " عَلَيْهِ السَّلَامُ"، ولقوم نبي الله هود " عَلَيْهِ السَّلَامُ"، مما حصل لعاد، وهم كانوا يعرفون ما الذي حصل لعاد؛ لأنهم ليسوا على بعد زمني طويل جداً من عاد، يعني: الأجيال تناقلت ما حدث لعاد؛ وإنما حاولوا أن يعملوا تدابير واحتياطات يدخلونها ضمن اهتماماتهم العمرانية، فهم عندما كانوا ينحتون الجبال بيوتاً، فكانوا من ناحية: هي حالة ترفيهية، وحالة حضارية، وحالة تُعَبِّر عن تمكّنهم وقوتهم، ومن ناحيةٍ أخرى: كانوا يحسبون حساب ما حصل لعاد، أن الله أهلّكهم بالريح العقيم، المدمرة، العاتية؛ فكانوا يفكرون أنهم عندما ينحتون الجبال بيوتاً، قد أمنوا على أنفسهم من أن يحصل لهم ما حصل لعاد، فالريح لن تستطيع أن تُدَمِّر الجبال وأن تنقلها، هكذا فكروا، وتصوروا أنهم بذلك أصبحوا آمنين، ونسوا أن العذاب أنواع كثيرة؛ فالله أهلّك عاداً بالريح العقيم المدمرة العاتية، ولكنه أهلّك قوم نوح بالطوفان، ويمكن أن يهلك قوماً آخرين بعذابٍ آخر، فهم لم يلحظوا ذلك، من العمى، من العمى!

فنحتوا الجبال بيوتاً، وصمموها تصميماً رائعاً؛ لتكون من جانبٍ آخر: جانباً من رفاهيتهم، وتعبيراً عن مدى تمكّنهم؛ لأنها عملية صعبة وشاقة، ولاسيما بوسائل وإمكانات ذلك العصر، النحت للجبال بيوتاً رائعةً، وتصميمها لتكون كذلك بشكلٍ رائعٍ وجميل، كانوا يلحظون حتى الجانب الجمالي؛ فيظهر في واجهة الجبل زخارف، ونقوشات، وأعمدة جميلة، وأشكال وتصميمات، تُعَبِّر عن الزينة، والإبداع، والجمال العمراني، ومن داخل كذلك يصممونها بما يناسب للسكّنة فيها والاستقرار فيها براحة: كيف يتوفر فيها الأكسجين، كيف يدخل الماء إليها، ويصل إليها وفق قنوات منظمة، وأنظمة مناسبة لوصول وتدفق الماء إلى داخلها، فأبدعوا في ذلك، وأتقنوا في ذلك.

أرسل الله إليهم نبيه صالحاً " عَلَيْهِ السَّلَامُ"، وهو منهم، يعرفونه، ويعرفون حكمته، ورشده، وكماله، وزكاه، وأخلاقه، فهو متميزٌ بينهم بكل ذلك: بما يمتلكه من حكمة، من رشد، من زكاء نفس، من الاستقامة، والطهارة، والصلاح في أعماله، وفي تصرفاته؛ فبلّغهم رسالات الله، وسعى لهدايتهم، ولإنقاذهم، ولإصلاحهم، ولتطهيرهم مما هم فيه من الفساد، وذكّرهم بنعمة الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" عليهم، ودعاهم- كما هي دعوة كل الأنبياء، في إطار العنوان الجامع، الذي يُعَبِّر عن محتوى الرسالة الإلهية بكلها- إلى عبادة الله وحده. عبادة الله بالتوحيد لله "سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَى"، في الاعتقاد أنه وحده الإله الحق، لا إله إلا هو؛ وبالتالي الاتّباع لنهجه، والالتزام بأوامره ونواهيه، والتمسك برسالته.

يقول الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى": ﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [هود: من الآية ٦١]، يعني: أرسل الله إلى ثمود أخاهم صالحاً،

ويأتي هذا التعبير (أَخَاهُمْ)؛ لأنه منهم، وهذه نعمة عليهم؛ لأنهم يعرفونه، وهو أيضاً يتّجه بكل اهتمامه، وبكل حرص لنجاتهم، للعمل على إنقاذهم، وهدايتهم، وبما فيه الخير لهم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: من الآية ٦١]، وكما غيره من الأنبياء يوجّه دعوته إليهم جميعاً؛ لنجاتهم،

وليصل هدى الله إلى الجميع، وليقيم حجة الله على الكل، ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾؛ لأن حالة تأليه غير الله من

المخلوقين، والمربوبين، والعبيد، ومن هم ملكٌ لله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، هو: تنكّر لأكبر الحقائق، وهو كفرانٌ لنعمة الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، وافتراءٌ عظيم، وباطلٌ لا يساويه باطل.

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [هود: من الآية ٦١]، يعني: الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" هو الذي خلقكم، وأنشأكم من هذه الأرض؛

لأن الإنسان مخلوقٌ من الأرض نفسها، من تربتها، بدءاً بأبينا آدم "عَلَيْهِ السَّلَامُ"، وأيضاً الإنسان عندما يخلق من سلالةٍ من ماءٍ مهين، تلك السلالة التي خُلقَ الإنسان منها، هي مركبةٌ من عناصر الأرض، من عناصر التربة التي تصل إلى جسم الإنسان، من خلال الغذاء الذي يتغذاه من نباتات الأرض نفسها، فالله هو الذي خلقكم، بقدرته، وحكمته، ورحمته، و نعمته، ﴿مِنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَ كُمْ فِيهَا﴾ [هود: من الآية ٦١]، هو الذي استخلفكم في الأرض؛

لعمارتها، والانتفاع بما فيها من نعم الله الوافرة، نعم الله التي لا تُعد ولا تحصى.

وهذا التعبير: عبارة (وَاسْتَعْمَرَ كُمْ)؛ لأن الله هيأ الأرض بنفسها بما أودع فيها من النعم، أيضاً في تكوينها، وتركيبها، وتشكيلها، وتصميمها، هُيئَتْ على نحوٍ ينتفع الإنسان فيها غاية الانتفاع: يعمر، ويبني، ويحرث، ويزرع، ويعمل الأشياء الكثيرة، يصمم الإنشاءات المتنوعة، التي تخدمه لحياته، بأشكالها وأنواعها، وأودع الله في هذه الأرض النعم الكثيرة، يستخرجها الإنسان، وينتفع بها بأشكال كثيرة وفق سنّة التسخير؛ لأن الله سخر ما خلق في الأرض، وما خلق في السماوات للإنسان؛ ليكون قابلاً للانتفاع به بأشكال كثيرة، بطرق كثيرة، بوسائل كثيرة، لمنافع متعددة ومتنوعة.

وهيأ الله الإنسان نفسه، من خلال ما منحه إياه، وأعطاه إياه: من طاقات، من قدرات، من وسائل، من إمكانات؛ وما زوّده به من مدارك، وما هداه له وألهمه إياه، وما هياه له أيضاً من خلال الاستفادة من التجارب: في الابتكار، في الاستنتاج، في التصنيع، في الحصول على المعارف التي تساعد على أداء هذه المهمة في الاستعمار في الأرض، والعمارة لها، والانتفاع بما فيها من النعم.

هذا مفهوم أن الله استعمرنا في الأرض، يعني: أعطانا القدرات، والطاقات، والمدارك، والمعارف، وهدانا بهدايته، ومن جانبٍ آخر: هياً لنا في الأرض نفسها كيف نعرها بما ننتفع به في حياتنا، وكيف ننتفع أيضاً بما أودع لنا فيها من النعم الواسعة جداً.

هذا التعبير القرآني: ﴿وَأَسْتَعْمَرَ كُمْ فِيهَا﴾، أتى الغرب الكافر في هذا العصر ليُقَدِّم هذا العنوان لمفهومٍ آخر،

استخدم مصطلح (الاستعمار)، ولكن لمعنىٍ آخر، ولمفهومٍ آخر، ولأهدافٍ أخرى، وهو: أن تأتي الدول الكبيرة المتمكنة، ذات القوة العسكرية، لتسيطر على البلدان الضعيفة، وتتهب ثرواتها، وتظلم شعوبها، وتضطهد أبناءها، وتصادر حقوقهم، وتتحكم بهم، وتستغلهم، وتستأثر عليهم، بما منحهم الله من الموارد والثروات والنعم، وهو مفهوم آخر، وهذا من التحريف أيضاً، والاستغلال لمصطلحات معينة، بمفاهيم مختلفة تماماً عن المعنى الحقيقي لها، كما استخدموا مصطلحات أخرى: استخدموا مفردة (الحرية)، مفردة (الحقوق)... مفردات أخرى، ويوظفونها لأمرٍ آخر، بعيدةً تماماً عن المعنى الأصلي لها، والمعنى الأول لها، يأتون لها بمفاهيم مختلفة تماماً، مفاهيم سيئة طبعاً؛ ليعملوا وفقها.

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَ كُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرْ لَهُ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: من الآية ٦١]، فالنعمة التي هم

فيها هي نعمة من الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، والله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" عندما يرسل رسله هو يرسلهم بمشروع حضاري، يعني: فيه الخير للناس لدنياهم وآخرتهم، وليس لحرمانهم مما هم فيه من النعمة؛ إنما أيضاً لتستمر لهم النعم، وليحسبوا التصرف مع نعم الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، والاستفادة منها بشكلٍ صحيح، بعيداً عن الإفساد، بعيداً عن الاستخدام الضار؛ لأن مشكلة الإنسان تتلخص في: سوء استخدامه وتعامله مع نعم الله، سوء استخدامه لها، وسوء تعامله معها، عندما يفسد بها، عندما تتحول بالنسبة له إلى وسيلة للإفساد، للإضرار، للتصرف السيء؛ فهو بذلك يسيء إلى الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" المنعم الكريم، الذي مكّنه وأعطاه تلك النعم؛ لينتفع بها فيما يفيد له دنياه وآخرته، فأساء الاستخدام، وأساء إلى الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، وألحق الضرر، ونشر الفساد

على مستوى واقعه: يتأثر الإنسان شخصياً عندما يتحول إلى مفسد في الأرض، وفي واقع الحياة من حوله: على الآخرين أيضاً، يصبح مصدر فساد وضرر عليهم.

عندما بلغهم نبي الله صالح رسالة الله، وأقام الحجة عليهم، كيف كانت ردة فعلهم؟ وكيف كان موقفهم؟ عابوا عليه ذلك، واستنكروا عليه، واحتجوا عليه، وغضبوا منه، وردُّوا عليه: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ

هَذَا﴾ [هود: من الآية ٦٢]، كنت فيما قبل شخص نرجوا فيه الخير لقومه، نرى ما أنت عليه من الحكمة والرشد، نستشيرك

في بعض الأحيان، نعتبرك أملاً لأن يكون هناك من جانبك ما فيه الخير لقومك، فإذا بك تأتي بهذا الكلام، الذي استنكروه عليه جداً: ﴿أَشْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِبِّ (٦٢) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّنْ

رَبِّي وَإِنِّي مِّنْهُ مَرَحِمَةٌ فَمَنْ يُنصِرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٢-٦٣].

نجد كيف أنهم حاولوا أن يثيروا العصبية لمواجهة دعوته: ﴿أَشْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ ، بدون حجة، بدون

برهان؛ إنما فقط منطق العصبية يستخدمونه، وهم يتجاهلون ويتنكرون لما كان يعبد الآباء الأولون، قبل آبائهم المنحرفين، يعني: حالة الانحراف هي طرأت فيما بعد، وإلا فكان من آبائهم، من أجدادهم القدامى من هم على ملة التوحيد؛ لأن البشر استأنفوا بعد الطوفان العظيم حياتهم مع نبي الله نوح "عَلَيْهِ السَّلَامُ"، وبدأ هو وذريته، والمؤمنون معه، وتناسلت ذريته، على مبدأ التوحيد، على اتِّباع الرسالة الإلهية، ثم طرأت فيما بعد، وظهرت حالة الشرك، والانحرافات، والخرافات، والعقائد الباطلة، والانحراف على المستوى السلوكي والعملي، هي حالات طرأت.

ولذلك فينبغي الوعي بهذه الحقيقة المهمة: الأصل في مسيرة البشرية منذ بداية الوجود الإنساني، بوجود نبي الله آدم "عَلَيْهِ السَّلَامُ"، وبوجود حواء "عَلَيْهَا السَّلَامُ"، ثم استمرت المسيرة البشرية، الأصل في ذلك هو: التوحيد لله، والعبادة لله، والاتباع لرسالة الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، والحالة التي طرأت وهي غريبة، وأنت غريبة إلى حياة البشر، وطارئة على حياتهم، هي: حالة الشرك، والانحرافات الأخرى، والخرافات الباطلة الأخرى، التي تشبَّت بها الكثير من البشر.

فما يقَدِّمه علماء الأديان في الغرب، في دراساتهم، ومقارناتهم، وتصوراتهم، عن مسألة العقائد والأديان، هي تصورات باطلة، عندما يتصورون أن: ملة التوحيد كانت غائبة تماماً عن الواقع البشري، وأن البشر على مرّ التاريخ كانوا مشركين، وكانوا يتصورون أن الآلهة متعددة، ثم في مراحل متأخرة أتت فكرة التوحيد، وتوصّل إليها البعض من البشر، وتبناها البعض منهم. هذا تصورٌ باطلٌ خاطئ، لا أساس له من الصحة، فالأساس هو: ملة التوحيد، والطارئ والانحراف في واقع البشر هي: تلك التصورات الخرافية الباطلة عن تعدد الآلهة، عن اتخاذ آلهةٍ والإشراك بها مع الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى".

فهم عندما أثاروا منطق العصبية: ﴿أَتَنهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾، تجاهلوا ما كان عليه من قبلهم من الآباء والأجداد ما قبل مرحلة الانحراف، ولكنهم يريدون أن يحركوا حالة العصبية؛ لأنهم لا يمتلكون الحجة، لا يمتلكون البرهان، ليس لديهم ما يستندون إليه، إلا منطق العصبية، وهو قد ردّ عليهم: ﴿أَمْ آتَيْنَا إِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّي﴾؛ لأنّ أنبياء الله ورسله يمتلكون الحجة، والبرهان، والوضوح فيما يقدمونه، يقدمون حقاً واضحاً بيّناً، بحجة واضحة بيّنة، ويؤيدهم الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" بالمعجزات الدالة على صدقهم، وصدق رسالتهم ونبوءتهم.

﴿وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ﴾ [هود: من الآية ٦٣]؛ لأنها رحمة، رحمة له، ورحمة لقومه، الرسالة الإلهية هي رحمة، والرسول هم رحمة من الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"؛ لإنقاذ الناس، لما يقيهم من العذاب والهوان والخزي، وبما يفوزون به، ويفلحون به، وينالونه من الخير العظيم والشرف الكبير.

﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَرِدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: من الآية ٦٣]؛ لأنهم يطلبون منه أن يتخلى عن رسالة الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، عن الرحمة التي أهداها الله لهم، ومنّ بها عليه وعليهم، ويريدون منه ما فيه الخسارة له ولهم: أن يتخلى عن تلك الرسالة الإلهية.

نهاهم عمّا ينشرونه من الفساد، وما هم عليه من الفساد: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: من الآية ٧٤].

وجّهوا له الاتهامات:

- ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: الآية ١٥٣]، قالوا: [أنت رجلٌ مسحور، قد أثر عليك السحر، وعطل فهمك،

وعقلك، ورشدك، وأصبحت تحمل هذه الخرافات، والأوهام، والتخيلات، والتصورات الغير صحيحة]،

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾.

- اتهموه أيضاً بالكذب.

- اتهموه أيضاً، وجَّهوا دعايةً عليه: بأنه لا يمكن أن يكون رسولاً وهو بشرٌ مثلهم: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ

الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴿﴾ [الشعراء: ١٥٣-١٥٤].

وهذا ما كان يقوله قبلهم قوم عاد، وقوم نوح أيضاً، وما قاله من بعدهم، وما يقوله الكثير من الناس في محاربة

الهدى والهداة من عباد الله: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾، وهذا ليس فيه أي حجة لهم، بل حجةٌ عليهم؛ لأن الله يجعل

الهداة لعباده منهم؛ لأنهم في مهمتهم التي هي لهداية الناس، هم في موقع القدوة، وفي موقع الأسوة، وعليهم مهام عملية يتحركون في إطارها.

والرسول بنفسه هو مُتَّبِعٌ، ليست المسألة أنه اتَّبِعَ له في ما هو من نفسه؛ لأنه قد أتى إليهم بأفكاره، بأرائه

الشخصية، يتحرك بهم وفق مزاجه الشخصي، هو مُتَّبِعٌ، تحدثنا عن هذه النقطة سابقاً: كيف أن الله قال لنبيه يعلمه

كيف يرد عليهم: ﴿إِنْ اتَّبِعِ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: من الآية ٥٠]، وهذا هو حال كل الرسل والأنبياء، هم مُتَّبِعُونَ، هم حلقة

وصل بين البشر وبين الله في الالتزام بتعليمات الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ"، وهم يعبدون أنفسهم لله أكثر من غيرهم،

يلتزمون هم في مقام الطاعة لله، والعمل بتعاليمه، قبل غيرهم، وأكثر من غيرهم.

فما تذرَّعوا به من قولهم: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [الشعراء: من الآية ١٥٤]، ليس فيه حجةٌ لهم، والشيء الغريب- كما قلنا

سابقاً- أنهم يتَّبِعُونَ بشراً ضالين، مجرمين، سيئين جداً، ويستتكفون ويستكبرون من الاتِّبَاعِ للرسل، الذين هم

بشر عظماء، صالحون، أخيار، أبرار، ومتَّبِعُونَ لهدى الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ" وتعليماته، وليسوا متَّجِهين بالناس

وفق أهواء، أو آراء شخصية من جانبهم، ﴿فَأْتِ بَيِّنَةً إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: من الآية ١٥٤]، طلبوا منه معجزةً يقترحونها له.

﴿فَقَالُوا أَبَشِّرْنا بِأَحَدٍ تَبِعَهُ إِنْنا إِذا لَفِى ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٢٤) ﴿الَّذِى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُوَ كَذابٌ أَشِرٌّ﴾ [القمر: ٢٤-٢٥]، اتهموه بالكذب، وبأنه ماهرٌ في الكذب، يخلُق أكاذيب رهيبه جداً، لا يخلُقها إلا كذَّاب محترف، ومُتَّجِه في الأكاذيب بشدة، وبجراً ووقاحة، وهم يهدفون إلى الإساءة إليه، والسُّخريَّة به، والتحذير منه.

أما قولهم: ﴿الَّذِى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنا﴾ [القمر: من الآية ٢٥]، فهذا يبيِّن حالة الحسد، وعقدة الحسد، فجمعوا بين عقدة الكبر، وعقدة الحسد، وذلك هو منطق الملائم منهم، الذين قالوا: [كيف يكون الوحي عليه، والنبوة له؟ لماذا لم يكن واحداً من أولئك الملائم، الذين هم بارزون في المجتمع بثروتهم، ونفوذهم، ووجاهتهم، وسلطتهم].

طلبوا منه الآية (المعجزة)، وَمَنْ اللهُ "سُبْحانَهُ وَتَعالَى" - حجة عليهم- مَنْ له بآية عجيبة، كانت تلك الآية كما يقال في الأخبار والآثار: في يوم عيدهم، وقد احتشدوا جميعاً؛ لانتظار هذا المشهد، عندما يأتي لهم بالآية، تلك الآية كانت هي الناقة، أخرج الله لهم ناقةً عظيمةً وكبيرةً وعجيبة، بطريقة معجزة، يعني: لم تكن تلك الناقة ناقةً عادية، لا في مجيئها: أنها تولد بشكل عادي من ناقة أخرى، بل يقال في الأخبار والآثار والروايات: أَنَّ اللهُ أخرجها لهم من الجبل، من الصخرة الكبيرة الصماء، انفلقت وخرجت منها الناقة العجيبة الكبيرة، وكانت عظيمةً وكبيرةً في حجمها، إلى درجة أنه لا بدَّ أن يخصصوا يوماً يكون لها في شرب الماء، شرب ماء المنطقة التي هم فيها، تلك المنطقة، فأخرج لهم تلك الناقة، التي هي آية عجيبة جداً، وحذَّره من أن يمسوها بسوء، وطلب منهم أيضاً أن لا يعترضوها في المرعى، ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ لَها شَرِبٌ وَكَمْ شَرِبَ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ (١٥٥) ﴿وَلا تَمَسُّوها بِسوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ

عَذابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥-١٥٦]، أي سوء: ضرب، أو أذية، أو جرح، أو قتل، وهي سترعى بنفسها في المرعى

العام، لن ترعى شيئاً يخصصهم، بل في المرعى العام، ﴿فَذمِّرُوها تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللهِ﴾ [الأعراف: من الآية ٧٣].

مع هذه الآية العجيبة جداً، آمن بعض المستضعفين منهم، وحصل انقسام فيما بين قومه، وقد حاول الملائكة منهم أن يؤثروا على الذين آمنوا، وأن يهزوا إيمانهم وقناعتهم، لكنهم فشلوا، ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ

اسْتَضَعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ

كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥-٧٦]، فهم يستنكرون عليهم إيمانهم، ويعلنون موقفهم الحاسم، الذي منبعه استكبارهم، منبعه

كبرهم، عقدة الكبر لديهم، ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾، وتحولوا إلى الخصام معهم، ومحاولة الضغط عليهم،

لكنهم فشلوا أيضاً، ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: من الآية ٤٥]، بينهم الجدل، المشاكل، المحاججة، المقاطعة، المباينة،

الاختلاف فيما بينهم، والخصومة.

وقد حذر نبي الله صالح حذر أولئك المستكبرين، الذين اتجهوا للمخاصمة، والعناد، وإثارة الشر والمشاكل في

مواجهة رسالته، بالرغم من تلك الآية العجيبة الباهرة، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٤٦) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ [النمل: ٤٦-٤٧]، قالوا: نحن نتشاءم بك، ونتشاءم بأولئك الذين آمنوا بك،

أنكم سبب شؤم، وشر، وخطر، وسوء على قومكم، وهذه عادة أيضاً لدى بقية الأقسام، كانوا يتشاءمون بالرسول والأنبياء، وأنهم سبب لنزع النعمة، سبب للمشاكل، سبب لأن يخسروا ما هم فيه من الراحة... إلى غير ذلك.

﴿قَالَ طَائِفٌ مِمَّنْ كَفَرَ بِاللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَاسِيَةً يُغْرِبْكُمْ عَنِ رَبِّكَ أَوْ يَحْضُرَ لَكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ [النمل: من الآية ٤٧]، المشكلة هي مشكلتكم أنتم فيما بينكم وبين الله، عندما تعصون

الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، تكفرون برسالته، تصدون عن سبيله، تنحرفون عن تعاليمه، تنشرون الفساد في الأرض، هذا يسبب عليكم سخط الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، وغضبه، وعذابه، وتظهر آثار ذلك في حياتكم: في نزع البركات، في الجذب، في الشدائد... في أشياء أخرى.

كان وجود الناقة وحركتها المستمرة في أوساطهم معجزة، معجزة متحركة، معجزة موجودة، مؤثرة، تفرض على أولئك القوم- على المستضعفين منهم بالذات، وعلى من لم يصل إلى درجة الخذلان التام- أن يتأثر، وهو يشاهدها يومياً، بما هي فيه من خلقها العجيب، وعظمتها، وهي بذلك المستوى، وكذلك كان فتنة لهم، اختباراً: هل

سيحملون مشاهدتها، فيما هي معجزة حيّة، متحركة، موجودة، قائمة، أم سيتورطون في الإجرام الكبير بالاستهداف لها؟

فاتخذوا قراراً خاطئاً وكارثياً بالتَّخْلُصِ منها، وقتلها، يريدون أن يتخلصوا منها كمعجزة موجودة، متحركة، ظاهرة، تتحرك بين أوساطهم، تبقى مؤثّرة في إسقاط تشكيكاتهم وباطلهم، ومؤثّرة على الآخرين، اتخذوا قراراً بالتَّخْلُصِ منها وبقتلها، بالرغم من أن نبي الله صالحاً "عَلَيْهِ السَّلَامُ" قد حدّرهم، حدّرهم بالعذاب القريب، والعذاب العظيم، إن مسوها بسوء.

عقد الملامنهم اجتماعاً سرياً، واتخذوا ذلك القرار الخاطئ، الكارثي، الذي جرّ عليهم الهلاك والعذاب، واختاروا لتنفيذ تلك المهمة- بعملية كمين- اختاروا شخصاً منهم، شقيماً، مجرماً، عدواً لله، سيئاً، معروفاً بإجرامه وسوءه، ومعروفاً بجرأته على ارتكاب القبائح والذنوب، وكان مشهوراً بينهم بذلك؛ ولهذا يقول الله: ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ

فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر: الآية ٢٩]، نادوه وانتدبوه لتلك المهمة الإجرامية الخطيرة جداً، التي تجلب عليهم الشقاء، وهو

شقيهم، وأشقاهم، وفعلاً، وأولئك الذين اتخذوا القرار، وهم كانوا أهل شقاء، جلبوا الشقاء على قومهم، يقال في الروايات وفي كتب التاريخ: أن اسمه [فَدَارَةُ بن سَالِفٍ]، واشتهر اسمه هذا بين الأجيال، فهو جرّ عليهم الشقاء والهلاك، أقدم ذلك المجرم على ارتكاب تلك الجريمة الخطيرة، التي جلب الشقاء لهم بها عن طريق كمين نفّذه للناقة، وعقرها، وهم فرحوا بذلك.

فكان منهم الأمرون: أولئك الذين قال الله عنهم: ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ﴾ [القمر: من الآية ٢٩]، طلبوا منه تنفيذ تلك المهمة،

وشجّعوه على ذلك. **وكان منهم المُنْفِذ: وهو ذلك المجرم ﴿صَاحِبُهُمْ﴾**، المجرم الذي نفّذ تلك الجريمة. وكان

منهم المؤيدون، والراضون، والمبتهجون، والمرتاحون لتنفيذ تلك الجريمة، والمؤيدون لذلك. فكانوا بكلهم شركاء: الأمرون، والمُنْفِذ، والمؤيدون، اعتبروا بكلهم مشتركين في تنفيذ تلك الجريمة؛ ولهذا نسبها الله إليهم

جميعاً، فقال: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس: من الآية ٢١]، مع أنه قال في آيةٍ أخرى: ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾، ﴿فَعَقَرُوهَا﴾،

ارتكبوا تلك الجريمة، وأقدموا على ذلك المحذور، الذي حدّرهم منه نبي الله صالح "عَلَيْهِ السَّلَامُ".

﴿فَقَالَ تَمَسَّعُوا فِي دَأْرِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مُكْذُوبٍ﴾ [هود: من الآية ٦٥]؛ **لأنه** قد حدّره فيما قبل ذلك وأنذرهم، أنهم

إن مسوها بسوء، فسيأخذهم عذاب قريب وعظيم.

وهنا درسٌ مهمٌ جداً في خطورة التأييد للباطل، والتأييد للظلم، والتأييد للإجرام: أن الإنسان بذلك يكون شريكاً في نفس الجريمة، وهذه مسألة خطيرة، يستهين بها الكثير من الناس، يستهين بها الكثير من الناس، ولأمير المؤمنين عليّ "عليه السلام" كلامٌ عظيمٌ ومفيدٌ في ذلك، هو على ضوء هذه الآيات القرآنية المباركة، قال: **((أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرَّضَا وَالسُّخْطُ))**، **((إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرَّضَا وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ؛ لَمَّا عَمَّوهُ بِالرِّضَا، فَقَالَ: ﴿فَعَمَّرُوها فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ [الشعراء: الآية ١٥٧]))**، أيضاً قال: **((الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ))** فعل

مُعَيَّن سيء، **((الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ، وَعَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانٌ: إِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ، وَإِثْمُ الرَّضَا بِهِ))**، وفعلاً هذا مُطابِق للقرآن الكريم فيما حصل في قصة ثمود، وفي آيات كثيرة، يُبيّن خطورة حالة الرضا بالفعل، أنه جُرْمٌ إلى جانب الجُرم، إلى جانب الفعل الذي هو جرم؛ ولهذا يقول الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" (في سورة التوبة):

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: من الآية ٨١]، فكانت جريمتان:

- كان تخاذلهم وعودهم عن الجهاد جُرمًا.

- وكان فرحهم بذلك، ورضاهم به، جُرمًا إضافياً، وهذا درسٌ مهمٌ جداً.

نجد في هذه الأحداث، التي تحصل في عدوان العدو الإسرائيلي على غزة، من بعض الدول الخليجية، وبعض الدول العربية، من يؤيّد ما يفعله العدو الإسرائيلي، ومن يبرر، ومن يحمّل المسؤولية على المستضعفين، المظلومين، المضطهدين، أبناء الشعب الفلسطيني، وهذا خطأ رهيب، كارثة رهيبة جداً، لماذا؟ لأن الإنسان سيصبح شريكاً مع العدو الإسرائيلي في كل تلك الجرائم، بسبب تأييده، فيتحمّل وزراً عظيماً وكبيراً جداً، جرائم رهيبة للغاية، يشترك فيها نتيجة ولأنه للعدو الإسرائيلي؛ ولهذا في تحذير الله من الولاء لهم (لليهود والنصارى)، قال في ختام ذلك: **﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ مِنْكُمْ فَإِنَّه مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** [المائدة: من الآية ٥١]، يتحول الإنسان إلى ظالم

من أسوأ الظالمين، يشترك في جرم أسوأ الظالمين، وهم أولئك المجرمون.

كذلك في أثناء العدوان على بلدنا، البعض من الناس أيّد المعتدين على بلدنا، وهم يقتلون الآلاف من الأطفال والنساء، والأبرياء المساكين، وهم يرتكبون أفظع الجرائم، يصبح الإنسان شريكاً في نفس تلك الجرائم، يصبح شريكاً في وزر قتل أولئك الأطفال والنساء والآخرين، فهي حالة خطيرة جداً.

لم يكفهم قتلهم وعقرهم للناقة، بل اتجه كبار مجرميهم أيضاً لإعداد خطة لتنفيذ عملية اغتيال لنبي الله صالح "عَلَيْهِ السَّلَامُ"؛ ولذلك يقول الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" في القرآن الكريم: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [النمل: من الآية ٤٨]،

في مدينتهم، كان لهم مدينة ضخمة، ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَكَانُوا يُضِلُّونَ﴾ [النمل: الآية ٤٨]، ﴿تِسْعَةُ

رَهْطٍ﴾، يعني: بيوتات، مجموعة، كل مجموعة هي قرابة فيما بينهم، مجموعة هناك، ومجموعة هناك، ومجموعة... تسعة بيوتات، بينهم رابط القرابة فيما بينهم، وكانوا هم مصدراً للفساد، ونشاطهم، وأعمالهم، وممارساتهم، وخططهم، وبرنامجهم، كله إفساد، إلى هذه الدرجة: ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَكَانُوا يُضِلُّونَ﴾، لا يأتي منهم إلا الفساد، دائماً يخططون للأعمال التي هي فساد، يتحركون فيما هو فساد، ينشرون الفساد، لا يعملون أي شيء فيه صلاح للمجتمع.

﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [النمل: الآية ٤٩]، أعدوا خطة اغتيال؛ لأنهم لا

يجرؤون أن يقتلوا نبي الله صالحاً "عَلَيْهِ السَّلَامُ" بشكلٍ ظاهرٍ واضح، هناك من أقاربه، من عشيرته، من يقف إلى جانبه، إضافةً إلى المؤمنين به؛ ولذلك يريدون أن ينفذوا عملية اغتيال سرية، ليلاً، هذا معنى التبييت، ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ [النمل: الآية ٤٩]، يعني: لتنفيذ عملية الاغتيال ليلاً، بطريقة سرية، من غير أن يُعرفوا، أو يظهر من هو

بالتحديد الذي أقدم على ذلك الجرم، وذلك الفعل، ثم على أساس أنهم إذا اتهموا بذلك فسينكرون، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ

مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ [النمل: من الآية ٤٩]، وكانت خطتهم على أن يقتلوه هو وأهله، أن يقتلوا نبي الله صالح، وأن يقتلوا أهله

مكروا، وأعدوا الخطة وترتيباتها، وموعد التنفيذ، ومن يُنفذ، وكيف يُنفذ، كل التفاصيل، ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا

وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَّرْنَا لَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ

خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٠-٥٢]، كانت خطتهم التي تقاسموا عليها بالله، هم كانوا معترفين بالله،

وتلك الأقوام الكافرة كانت تعترف بالله، وتُقرُّ بالله، ليس كما في كثير من المسلسلات، والكتابات القصصية، يتحدثون عنهم وكأنهم كانوا ينكرون وجود الله أساساً، أو يجهلون بشيء يقال عنه: (الله)، اسمه (الله)، هم كانوا يقرون بالله، ويعترفون به؛ إنما يشركون به آلهة أخرى زائفة باطلة، بل إنهم في الأمور المهمة، التي هي ذات أهمية كبيرة جداً عندهم، يقسمون بالله عليها؛ لأهمية الموضوع، وهنا على ماذا يقسمون؟ هل لتنفيذ عمل صالح؟ أو لتنفيذ عبادة؟ أو للقيام بأمرٍ جيد؟ يقسمون بالله على تنفيذ جريمة قتل نبي الله، يعني: شيء غريب، شيء غريب جداً!

هم فشلوا في تلك المهمة، ونبي الله صالح "عَلَيْهِ السَّلَامُ" غادرهم، وهاجر من بينهم، ذهب من بينهم هو ومن معه من المؤمنين، وانتقل عنهم، وتلك العملية فشلت، ويقال: أن الذين أرادوا تنفيذها هلكوا بأنفسهم في تلك اللحظة، ومن المؤكد هلاكهم مع قومهم، كما في الآية المباركة: ﴿أَنَا دَمَّرْنَا لَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

بدأت الثلاثة الأيام التي ذكرها لهم نبي الله في الوعد المؤكد، ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ﴾ [هود: من الآية ٦٥]، وبدأت

مؤشرات العذاب، وندموا، لكنه ليس ندم التائبين؛ بل ندم المتوجِّسين، المترقِّبين، الذين بدأوا يقلقون، ويشعرون باحتمال نزول العذاب، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَيْهِمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مِرْسَالَةَ رَبِّي وَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ

النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٧١]، وما أكثر من يكرهون الناصحين، ويتعقِّدون على الناصحين! وما بعد نصح الأنبياء،

وأولياء الله! ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ [الشعراء: من الآية ١٥٧].

اكتملت الثلاثة الأيام، فأتاهم العذاب المهلك المدمر، نعوذ بالله! ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: من الآية ٩١]، دَمَّرَهم الله

"سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" تدميراً كاملاً برجفةٍ دمرتهم بشكلٍ تام، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: من الآية ٩١]، قد ماتوا،

وبادوا، وانتهى أمرهم، ﴿كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا إِلَّا إِنَّ شَمُودَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ إِلَّا بُعْدًا لِشَمُودَ﴾ [هود: الآية ٦٨]، ما كانوا فيه من النعمة،

ما كانوا فيه من الإمكانيات، ما كانوا فيه من الرفاهية، ما كانوا فيه من الحياة التي تتوفر لهم فيها متطلبات حياتهم، ما كانوا فيه من التمكين، انتهى؛ أمّا الجبال التي نحتوها إلى بيوت، فلم تشكل حمايةً لهم من عذاب الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" أبداً، هلكوا في رجفةٍ واحدة، وصيحةٍ واحدة، وصاعقةٍ واحدة، أنهتهم تماماً، وهلكوا بشكلٍ كامل.

العبرة الكبيرة في تاريخ الأمم والأقوام: أنّ الله ينعم عليهم بالنعم الكبيرة في حياتهم، ويؤمّن نعمته عليهم بنعمة الهدى، وأوليائه، وأنبيائه، ورسله؛ لتستقر حياتهم، وتصلح حياتهم، ونعمة الرسل ونعمة الهدى هي أعظم النعم، التي بها تُستكمل بقية النعم، وتطيب بها بقية النعم، وتستقر بها حياة الناس، لكنهم بدلاً من شكر النعمة على ما هم فيه من رفاهية وراحة، يتجهون للفساد، يتجهون للانحراف عن تعليمات الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، يعاندون، وينحرفون، ولا يقبلون بهدى الله؛ فتأتي العقوبات، والعقوبات كثيرة، والعقوبات متنوعة، يعني: نجد مثلاً فيما قصّه الله عن الأمم الهالكة التي أهلكها الله، كيف تنوّعت العقوبات، أيضاً هناك عقوبات بالفيروسات، بالأوبئة، بالحروب والتسليط... بأشياء كثيرة، مجال العقوبات مجال واسع.

ولذلك عندما نجد مثلاً في واقع حياتنا بلداناً معينة، أو دولاً معينة، أصبح أهلها في حياة طيبة على المستوى المادي، حياة رفاهية، تتوفر لهم النعم والإمكانيات وغير ذلك، فهم في واقع الحال في حالة اختبار: إن شكروا نعمة الله، واتبعوا هدى الله؛ كان في ذلك الخير لهم، وإن قابلوا نعم الله بكفر النعمة، بسوء الاستخدام للنعمة: في المعاصي، في الفساد، في الظلم، في البغي، مثلاً:

- قوم نبي الله هود "عَلَيْهِ السَّلَام" (عاد)، كانوا أيضاً أهل قوة: قوة بدنية، قوة عسكرية، قوة اقتصادية، فمع فسادهم ومعاصيهم أيضاً اتجهوا للظلم، والطغيان، والجبروت، والاعتداء على البلدان والمجتمعات الأخرى، والظلم لها، انتهى كل ذلك، أهلكهم الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى".

- قوم نبي الله صالح " عَلَيْهِ السَّلَامُ " (ثمود)، مع إمكاناتهم ورفاهيتهم، وما هم فيه من الإمكانيات الضخمة، والحياة التي تتوفر لهم فيها متطلبات تلك الحياة، اتَّجهوا للفساد، ونشروا الفساد، والمنكرات، والفواحش، والردائل... ومختلف أنواع الفساد، أصبحوا بؤرةً للفساد، ومصدِّرين الفساد إلى بقية المجتمعات، التي لها علاقةٌ بهم، أو تتعامل معهم.

فهم يسيئون استخدام نعم الله عليهم، ويتصرَّفون بها فيما هو معصيةٌ لله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، ثم تنتهي، يعني: لا تدوم النعمة على قومٍ ينتكِّرون لها.

إذا رأينا في عصرنا هذا بلدانا متمكِّنة على المستوى الاقتصادي، وحتى على مستوى عسكري... وغيره، فهذا لا يعني أنَّ ذلك سيدوم لها، بكفرانها للنعمة؛ تنتهي، تأتيها العقوبات، تختلف العقوبات من زمن إلى آخر، وعصرٍ إلى آخر، تنتوع العقوبات أيضاً، إن لم يشكروا نعمة الله عليهم، بحسن التعامل مع نعم الله، والكف عن المعاصي عن الفساد، عن الظلم، والطغيان، والبغي، فما هم فيه ينتهي في نهاية المطاف، يستمر إلى وقت معين، ثم يتلاشى، تتغير أحوال الناس، وتغيرت أحوال أمم وبلدان، تغيرت أحوالهم تماماً: من الغنى، والدعة، والرفاهية، إلى الفقر، إلى البؤس، إلى الشدة، إلى العناء، وهذا يحصل.

أثناء النعمة يكونون في حالة سُكْر، سُكْر للنعمة، لا يتخيَّلون أنَّ حالهم ذلك سيتغير، وأنهم سيبدِّلون بما هم فيه من النعمة، التي لم يشكروا الله عليها، واستغلُّوها للفساد، والظلم، والمنكرات، سيبدِّلون عنها بالبؤس، والشقاء، والعذاب، لا يتخيَّلون ذلك.

أحياناً في بعض البلدان تكون معهم منغِّصات أصلاً، لا يهنئون بما هم فيه، ولو أنَّ لديهم رفاهية كبيرة جداً على المستوى المادي، فهذا هو عبرةٌ مهمةٌ لنا مما حلَّ بتلك الأقوام والأمم.

فيما يتعلق أيضاً بخطورة الشرك، عندما كان الأنبياء والرسل يحاربونه، ويعملون على إنقاذ الناس منه، ويوجِّهونهم إلى عبادة الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" وحده؛ لأنه باطلٌ كبيرٌ، وفي نفس الوقت يصرف الناس عن رسالة الله تماماً، يعني: الذين هم في حالة كفر وشرك، لا يقبلون أصلاً ببقية تعليمات الله، وبقية التفاصيل التي يأتي بها الرسل والأنبياء؛ لأنهم لم يقبلوا الأصل الذي بُنيت عليه بالأساس.

ومن أخطر، من أخطر ما يسعى له الأعداء: أنهم يحاولون- على مستوى الأمة الإسلامية، وغيرها- أن يبعدوا المجتمعات تماماً عن رسالة الله، ما تسعى له أمريكا، ما تسعى له إسرائيل، ما يسعى له اللوبي اليهودي الصهيوني المضل، المفسد في الأرض: أنه يحاول أن يصرف الناس نهائياً عن تعاليم الله، عن رسالته، وأن

يُنَجِّه بهم منفصلين عنها بشكلٍ تام، وأن يجعلهم يتنكَّرون لها في اعتقاداتهم، في أعمالهم، في تصرفاتهم، وأن يُنَجِّه بهم إلى الاستباحة للمحرمات بأكملها، وعدم الانضباط في حياتهم على أساس هدى الله وتعليماته التي فيها الرشد، والخير، والسعادة، والفلاح، والنجاة، وهذه مسألة خطيرة؛ لأنهم يريدون أن ينكبوا البشرية، ويريدون أن يستمروا فيما هم فيه من فساد، في بيئة منقذة لفسادهم، لمنكرهم، لشرهم، لاستعبادهم للناس، وهي حالة خطيرة للغاية، يريدون أن يكون الناس في جاهلية جهلاء بكل ما تعنيه الكلمة.

نكتفي بهذا المقدار...

وَنَسْأَلُ اللَّهَ "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" أَنْ يُؤَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُرْضِيهِ عَنَّا، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الْأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جُرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنَّا أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنْصُرَنَا بِنَصْرِهِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛